الفصل الثانى عشر

المؤثرات فى هذا الأدب

يتأثر الأدب بمؤثرات متعددة تطبعه بطوابع خاصة ، وتتزاحم هذه المؤثرات أحياناً ، وتتعاون أحياناً ، ويختفى بعضها ، كما يتغلب بعضها ويكون صاحب الأثر الأول . والمؤثرات التى يُحتمَل أنها أثرت فى هذا الأدب ، أو كان يجب أن تؤثر فيه هى :

١ — البيئة :

ونقصد بها مصر بنهرها العظيم ، ووديانها الخصيب ، وزروعها الناضرة ، وجناتها الظليلة المثمرة ، وصحرائها الشاسعة ، وجبالها الكثيرة ، وهوائها الجميل ، وجوها المعتدل .

وهذه البيئة لم تترك فى الأدب العربى إلا آثاراً قليلة كرسالة عمرو فى وصف البلاد ، وهى أقوى ما أثر ، على الرغم من أنها لم تكن مقصودة لذاتها — وهناك أبيات ثلاثة قالها ابن قيس الرقيات فى « حلوان ذى الكروم » وما حولها ، وأبيات له فى وصف السفن التى غدت من الكريون « إلى حلوان تستبق[1] » .

وقد تجد بعض أسماء الأماكن المصرية ، واسم مصر نفسها ، يتردد كثيراً فى الأدب ، والشعر خاصة ، ولكنه لا يتجاوز سرد الأسماء .

---

(١) ٧٨ ، ١٤٧ ، ١٤٩ من هذا الكتاب .

ولا نجد وصفاً أدبياً جميلا لهذه البيئة ، أوأدباً من وحيها إلا فى عهد الإخشيديين لما ظهر شعراء الأديرة الذين وصفوا ماحولها من متنزهات؛ وتحدثوا عنها فى الربيع فأكثروا الحديث عن أزهارها وأطيارها ، ومزجوا ذلك بذكريات الأيام الجميلة التى استمتعوا فيها بالشباب والشراب والصيد واللهو فى تلك المتنزهات والأديار .

وأما النيل فكان وحيه ضعيفاً إلى الأدباء على الرغم من قوته وسحره ، وخيراته ووضوح آثاره واختلاف أحواله على مدى العام . ومن هذا الوحى الضعيف قول نصيب فى مدح عبد العزيز بن مروان ، يشبهه بالنيل فى الكرم والخير .

فبشر أهل مصر فقد أتاهم مع النيل الذى فى مصر نيل

وقول أبى نواس يقرن الخصيب به فى اليمن والبركة :

النيـــل ينعش ماؤه مصرا وندالك ينعش أهـلَه الغَـمر

وقوله فى ذم أهل البلاد :

أموالكم جمة والبخل عارضها والنيل مع جوده فيه التماسيح

وقد ترى أحاديث عنه فى الكلام عن العجائب ، أو حين التحدث عنه جغرافيا كوصفه من منبعه إلى مصبه ، وهو وصف لم يقصد به الأدب .

٢ ـــ الثقافة :

وشاعت فى البلاد من أول الإسلام ثقافة إسلامية عمادها العلوم الشرعية واللسانية ثم شاركتها الثقافة العقلية ، ولم يكن لهـــذه الثقافة فى الأدب المحض ، بشعره ونثره ، أثر يذكر ، ولكن كان لها أثر قوى فى مجالس العلم وكتب العلماء ، ومناظرات أهل المذاهب والعقائد ، يبدو فى الموضوعات التى كان يدرسها أولئك العلماء ، وفى طرق البحث كالعناية بالاستقصاء ، والاعتماد على المنطق المنظم والغوص وراء المعانى الدقيقة ، والتماس الأسباب والعلل . وغير ذلك مما يطبع مجالس العلم وأبحاث العلوم . وفى كتب الفقه عند الشافعية والمالكية والحنفية بمصر كثير من

هذه المجالس والمناظرات . وأمثلة للغة العلم والجدل . أوضحها استخدام ألفاظ وجمل اصطلاحية محدودة المعانى دقيقة الاستعمال .

وإذا كان لمدرسة الاسكندرية ، أو لقوانين الرومان أثر فى العقل العربى . والتشريع الإسلامى بمصر فقد كان ضميفاً أيضاً نتلمسه تلمسا . وأكثر تأثرها بالفلسفة اليونانية كان عن طريق العراق .

ومن آثار الثقافة الإسلامية فى الأدب ما تراه فى اقتباسه لغة القرآن الكريم كقول المعلى الطائى :

لا نلتقى أبداً معاينة حتى نقوم لربنا صفا

وقول الجيشى فى آل طولون :

فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم كأنها من زمان غابر ذهبا

وكم تركوا من جنة أنف ومن نعيم جنى من غدرهم غضبا

وقوله فى شوق البلاد إلى ابن الخليج :

وما شوقها كان من طبعها ولكن ربك أوحى لها

وقول سعيد القاص لبدر الحمامى المتغلب على ابن الخليج :

فاسعد بنصر الله والفتح الذى عظمت به النعمى على الأبرار

٣ — النقد :

وللنقد أثره فى الأدب فإنه يبصر الشعراء والكتاب بعيوبهم ، ويدعوهم إلى التجديد أو الإجادة . وكان بمصر نقد أدبى يخشى . ونسمع به لأول مرة فى عهد عبد العزيز ابن مروان عندما وفد نصيب عليه وأراد أن يصل بمدحه إلى مسامعه ، فحذره صاحبه المصرى أن ينتحل ؛ لأن الأمير أديب راوية وعنده رواة[1] خبراء .

وانظر إلى قول أمية بن أبى عائذ فى عبد العزيز[2] :

تسير بمدحىَ عبدَ العزيـ ـز ركبانُ مكةَ والمُنْجدونا

(١) ص ١٣١ من هذا الكتاب (٢) الأغانى ج ٢٠ — ١١٥

محبَّرة من صريح الكلا م ليست كما لَفَّق المحدثونا
وكان امرأً سيداً ماجداً يصَفِّى المتيقَ وينفى الهجينا

وكان بمصر رجل يقال له سرج الغول يستدعيه الشافعى ليناظره ويذاكره ، وكان هذا الرجل عالما باللغة ، ولا يقول أحد شيئاً من الشعر إلا عرضه عليه[1] .

ونسمع بهذا النقد مرة أخرى فى هجاء أبى تمام ليوسف السراج الذى عاب عليه ميله عن السهل من المعانى حتى احتاجت فى فهمها إلى فلاسفة اليونان[2] . ولكن ما أثر هذا النقد فى نفس السَّرَّاج ؟

ونسمع بعد ذلك بوقائع معينة فى النقد عندما جاء المتنبى إلى مصر ، فأثار عليه ثائرة سيبويه المصرى وصالح ابن مؤنس وغيرهما بسبب ما رأوه من عيوب لفظية ومعنوية فى شعره ، ولم يترك هذا النقد أى أثر فيه لاعتداده بنفسه .

لكن دراسة الأدب ونقده فى مصر قد تركا أثرا فى الأدباء وتوجيهاً لهم بما كان يقوم به أساتذة النحو ورواة الأدب من ثناء وذم لبعض الشعراء ، أو بعض النصوص وكان لهذا النقد والدراسة مجالس فى المساجد أو فى بيوت الخاصة ، وقد يختلطان بدروس النحو عندما يستطرد العالم من الشاهد إلى بقية القصيدة أو عندما ينقد البيت أو الأبيات التى يعرض لها . كما كانا يتصلان برواية الأخبار والأشعار .

٤ — الاتجاه الأدبى العام :

ونذكر جيداً أن تأثير الأدب العربى العام وبخاصة فى حواضر الخلافة كان له أثره فى الأدب العربى بمصر . فالشعراء الذين رحلوا إلى مصر كانت مدائحهم لعبد العزيز بن مروان متقاربة ، وكانت صورة من المدائح العامة التى كان يفد بها غيرهم من الشعراء . ويقال مثل ذلك فى المدح أو الهجاء الذى رأيناه من أبى نواس وأبى تمام ودعبل ، وإن اختلفت الأساليب والعبارات .

(١) بغية الوعاة ص ٢٥٥ (٢) ص ٢٢٤ من هذا الكتاب

والأدب المحلى كان يتأثر بهذا الأدب العام كثيراً ، وانظر إلى مدحة المعلى لعبد الله بن طاهر ، وهجاء الحسين الجمل لابن وهب[١] .

ولما شاعت المحسنات البديعية فى العراق ظهر أثرها فى مصر . وكانت الكتابة فى العراق ذات أثر بعيد فى الكتابة المصرية حتى فى عهد الطولونيين والأخشيدين وتعليل ذلك يسير فقد كانت الحواضر وما زالت ذات نفوذ واسع على غيرها من أمصار الدولة ، فى الأدب والثقافة والفنون ، ويقلدها النازحون عن هذه الحواضر إكباراً لها ولرجالها . فإذا ضعفت سيطرتها ظهر استقلال الأمصار بأدبها وظهرت فيه طوابع محلية خاصة تميزه من غيره .

٥ — التاريخ الحديث :

أما تاريخ البلاد من الفتح الإسلامى ، فكان مسيطراً إلى حد كبير على أدبها ، وقد رأينا صداه فى الرسائل والخطب ، وظل هذا الصدى قوياً فيما قيل من أشعار فى الأحداث والفتن والحروب والمناسبات التاريخية، كما بيناه فى ثنايا الكتاب .

٦ — التاريخ القديم :

ولكن لهذه البلاد تاريخاً قديماً ، وحضارة عظيمة عاشت آلاف السنين ، وكان لأهلها فى هذه الآلاف من السنين علوم وفنون خلدتها آثار لا تخشى البلى ، على سطح الأرض وفى جوفها . وكان للبلاد أدبها الذى نبتت أساطيره قبل الملك « مينا » ؛ وتنوع ، ونقش على الصخر ، وسطر على البردى .

وكانت آثار البلاد كثيرة بعضها شامخ كالأهرام الكثيرة المتفرقة فى أنحاء البلاد ، والمسلات الباسقات ، والمعابد والبرابى ، فى الأقصر ، والكرنك ودندره وأخميم ، وغيرها من مواطن الآثار الفرعونية ، كما كانت الاسكندرية موطن الفن اليونانى والرومانى ومن أشهر آثاره المنارة وعمود السوارى .

---

(١) ص ٢٠٨ ، ٢١٣ من هذا الكتاب .

وسمى العرب هذه الآثار بالعجائب ، وعد الجاحظ منها عشرين عجيبة ، فيما نقله عنه المقريزى[١] .

وما خفى من هـذه الآثار فى جوف الأرض كان عظيما أيضاً ، ولم يسلم من العبث به وهتك أستاره منذ العهود القديمة . ولم يكف لصوص المقابر عن انتهاك حرماتها طلباً للذهب الذى كان يملؤها .

وليس غريباً أن نجد المصريين فى الإسلام يطلبون الثروة من الكنوز الدفينة فى هذه المقابر ، التى كانوا يسمونها « المطالب » ، وأن تروى عن ذلك قصص وأخبار . ونسمع بذلك لأول مرة فى عهد عبد العزيز بن مروان : فإن المسعودى[٢] يحدثنا حديثاً عجيباً عن مطلب من هذه المطالب كشف فى عهد عبد العزيز؛ وأنه أمد الباحث عنه بالمال ، لما أخبره بما فيه من العجائب ، وكان منها ديك على عمود من الذهب، وعيناه ياقوتتان تساويان الدنيا ؛ وأن الرجال حفروا حتى وجدوا رأس الديك. « فبرق عند ظهوره لمعان عظيم كالبرق الخاطف » . وركب عبد العزيز إلى ذلك الموضع « فنظر إلى ما ظهر من ذلك ، فأسرع بعضهم فوضع قدمه على درجة منسبكة من نحاس تنتهى إلى ما هنالك ، فلما استقرت قدمه على المرقاة الرابعة ظهر سيفان عظيمان عاديان عن يمين الدرجة وشمالها ، فالتفا على الرجل فلم يدرك حتى جزآه قطعاً وهوى جسمه سفلا. فلما استقر جسمه على بعض الدرج ... صفر الديك تصفيراً عجيباً ... وحرك جناحيه ، فظهرت من تحته أصوات عجيبة قد عملت بالكواكب والحركات ، إذا ما وقع على بعض تلك الدرجات شىء أو ماسها تهافت ما هنـاك من الرجال إلى أسفل تلك الحفيرة . وكان فيها ممن يحفر ويعمل وينقل التراب ، ويبصر ويتحرك ، ويأمر وينهى ، نحو ألف رجل ، فهلكوا جميعاً . فجزع عبد العزيز وقال : هذا ردم

---

(١) الخطط جـ ١ ص ٣١ (٢) مروج الذهب ص ١٥٧ المطبعة الأزهرية

عجيب الأمر ، ممنوع النَّيل ، نعوذ بالله منه . وأمر جماعة من الناس فطرحوا ما أخرج من هناك من التراب على من هلك من الناس فكان ذلك الموضع قبراً لهم .

وفى عهد الطولونيين كانت منطقة الأهرام وعين شمس موطن البحث عن هذه المطالب أو الكنوز ، وعثر فيها على توابيت وموميات وتماثيل جميلة الصنع . روى أن ابن طولون ركب يوماً إلى الأهرام[1] فجاءه الحجاب بقوم عليهم ثياب صوف ، وفى أيديهم مساح ومعاول فسألهم عما يعملون ، فقالوا : نحن قوم نطلب المطالب ، فأمرهم ألا يفعلوا ذلك بعد الآن إلا بإذنه ، ويكون معهم رجل من قبله . ثم ذكروا له أن فى سمت الأهرام مطلباً قد عجزوا عنه ، فأمدهم بالنفقات الكثيرة اللازمة لاستخراجه ، فكشفوا عن حوض كبير عظيم مملوء بالدنانير ، وعليه غطاء مكتوب عليه ، فأحضروا من قرأه .

وروى السيوطى فى حسن المحاضرة[2] أن أحمد بن طولون لما ملك مصر حفر على أبواب الأهرام فوجدوا فى الحفر قطعة مرجان مكتوباً عليها سطور باليونانى فأحضر من يعرف ذلك القلم فإذا هى أبيات شعر فترجمت ومما كان فيها :

ستفتح أقفالى وتبدو عجائبى ... وفى ليلة فى آخر الدهر تنجم
ثمان وتسع واثنتان وأربع ... وسبعون من بعد المئين فتسلم
ومن بعد هذا جزء تسعين برهة ... وتلقى البرابى صخرها وتهدم
تدبر فعالى فى صخور قطعتها ... ستبقى وأفنى قبلها ثم تعدم

فجمع أحمد بن طولون الحكماء وأمرهم بحساب هذه المدة فلم يقدروا على تحقيق ذلك ، فيئس من فتحها .

وروى أنه فى عهد ابن طولون ، وجد الكنز المشهور بعين

---

(١) سيرة ابن طولون للبلوى ص ١٩٤

(٢) ج ١ ص ٩ وهامش السيرة المذكورة ص ١٩٥

شمس ، وأتى له منه بميت وعلى صدره لوح ذهب مكتوب بالقبطية ، فقرىء ، فإذا فيه : أنا أكبر الملوك ، وذهبي أخلص الذهب ؛ فحمل ذلك ابن طولون على تعديل نسبة الذهب فى نقوده .

وكان فى عين شمس صنم على مقدار الرجل المعتدل الخلق ، من كذان[1] أبيض ، حسن الصورة ، يخيل لمن استعرضه أنه ينطق ، ووصف لابن طولون فأحب رؤيته ، فخوفه خادم نصرانى ثقة أن يراه ، لأنه ما رآه وال قط إلا عزل ، لكن ابن طولون ركب إليه فى سنة ٢٥٨ ، فتأمله ، ثم أحضر القطاعين وأمرهم أن يجتثوه من الأرض حتى درس وعفا خياله ، وذرى ما بقى حياله فى الصحراء . وعاش ابن طولون بعده اثنتى عشرة سنة .

وترى رغبة القوم فى حب المعرفة وكثرة الأسئلة عن أشياء تتصل بالنيل والآثار مما رواه المسعودى[2] عن أحمد بن طولون أنه استدعى رجلا قبطياً من الصعيد الأعلى عمره مائة وثلاثون سنة ، ليسأله عن أشياء من ذلك ، فجاءوا به سنة نيف وستين ومائتين . ووكل به ابن طولون من يسأله ، فسأله عن بحيرة تنيس ودمياط فأخبر أخباراً عجيبة ، منها أن بحيرة تنيس « المنزلة » كانت جنات وبساتين ، وأن البحر بين العريش وبين جزيرة قبرص كان يبساً .

وسئل عن الأهرام فقال[3] : إنها قبور الملوك . ثم سئل كيف بنيت الأهرام الملسة فأخبرهم ، فقيل له : « ما بال هذه الكتابة التى على الأهرام والبرابى لا تقرأ . فقال : دثر الحكماء وأهل العصر الذين كان هذا قلمهم ، وتداول مصر الأمم فغلب على أهلها القلم الرومى ... على حسب ما ولدوه من الكتابة بين الرومى والقبطى الأول » .

---

(١) حجارة . سيرة ابن طولون للبلوى .

(٢) مروج الذهب ج ١ ص ١٤٩ (٣) ج ١ ص ١٥٠

وكان لهذا العالم القبطى مجالس كثيرة[1] عند أحمد بن طولون .

وكان فى عصر الإخشيد تنقيب وبحث .

قال المسعودى : « إن جماعة من أهل الدفائن والمطالب ، ومن قد أغرى بحفر الحفائر وطلب الكنوز وذخائر الأمم المستودعة بطن الأرض ببلاد مصر ، وقع إليهم كتاب ببعض الأقلام السالفة ، فيه وصف موضع ببلاد مصر على أذرع يسيرة من بعض الأهرام بأن فيه مطلباً عجيباً ، فأخبروا الإخشيد محمد بن طغج بذلك ، فأذن لهم فى حفره وأباحهم استعمال الحيلة فى إخراجه فحفروا حفراً عظيما إلى أن انتهوا إلى آزُجٍ وأقباء ، وحجارة مجوفة فى صخر منقور فيه تماثيل قائمة على أرجلها من أنواع الخشب ، قد طليت بالأطلية المانعة من سرعة البلى وتفرق الأجزاء ، والصور مختلفة : منها صورة شيوخ وشبان ونساء وأطفال ، أعينهم من أنواع الجواهر كالياقوت والزمرد والفيروزج والزبرجد ، ومنها ما وجوهها ذهب وفضة ، فكسروا بعض تلك التماثيل فوجدوا فى أجوافها رمماً بالية ، وأجساماً فانية ، وإلى جانب كل تمثال منها نوع من الأبنية كالبرابى وغيرها من الآلات من المرمر والرخام . وفيه نوع من الطلاء الذى قد طلى منه ذلك الميت الموضوع فى تمثال الخشب ، وما بقى من الطلاء متروك فى ذلك الإناء ؛ والطلاء دواء مسحوق ، وأخلاط معمولة لا رائحة لها ، فجعل منه على النار ففاح منه روائح طيبة مختلفة ، لا تعرف فى نوع من الأنواع التى للطيب » .

« وقد جعل كل تمثال من الخشب على صورة ما فيه من الناس على اختلاف أسنانهم ومقادير أعمارهم ، وتباين صورهم ، وبإزاء كل تمثال من تلك التماثيل تمثال من الحجر المرمر أو من الرخام الأخضر على هيئة الصنم ، على حسب عبادتهم للتماثيل ، وكان ذلك فى سنة ٣٢٨ » .

---

(١) ج ١ ص ١٥٣

ثم يقول المسعودى[١] :

وقد كان لمن سلف وخلف من ولاة مصر إلى احمد بن طولون وغيره إلى هذا الوقت — وهو سنة ٣٣٢ — أخبار عجيبة فيما استخرج فى أيامهم من الدفائن والأموال والجوهر ، وما أصيب فى هذه المطالب من القبور والخزائن » .

وقد أدهشتهم هذه الآثار الظاهرة والمستورة ، وحاولوا معرفة شىء عنها ، وقراءة ما كتب عليها ؛ وفسروا ما وجدوه مكتوباً عليها أحياناً ، واستعصى عليهم قراءة المكتوب فلم يترجموه أحياناً أخرى ، وكان تفسيرهم لهذه الآثار عجيبا ، بل قرروا أن ذا النون المصرى الإخميمى ، الزاهد ، كان ممن يقرأ عن هذه البرابى ، وأنه قال : رأيت فى بعض البرابى كتاباً تدبرته . فإذا هو : « احذر العبيد المعتقين ، والأحداث المقربين ، والجند المتعبدين ، والنبط المستعربين » . قال : ورأيت فى بعضها كتاباً فتدبرته فإذا فيه : « يقدر المقدر والقضاء يضحك » وزعم أنه رأى فى آخره كتابة وتبينها فى ذلك القلم الأول فوجدها : [٢]

تدبر بالنجوم ولست تدرى ورب النجم يفعل ما يريد

وحين أورد المسعودى الحديث عن الأهرام وما عليها من الكتابة قال إن منها مكتوباً هو : « إنا بنيناها فمن يدعى موازنتنا فى الملك ، وبلوغنا فى القدرة ، وانتهاءنا من السلطان فليهدمها ، وليزل رسمها ؛ فإن الهدم أيسر من البناء ، والتفريق أيسر من التأليف » .

ونرى من هذه التراجم شعراً ونثراً لما كان على الأهرام أو غيرها من الآثار أن أكثرها من وحى الخيال ولسان الحال .

---

(١) ج ١ ص ١٥٨ .

(٢) مروج الذهب ج ١ ص ١٥٥ طبعة ١٣٠٢ هـ

وعنيت كتب التاريخ بهذه الآثار والعجائب كما عنيت بها كتب الخطط ، ووصفها المؤرخون ، وأبدعوا فى وصفها ، ورووا كثيراً من قصصها وحكاياتها ، ونستطيع أن نعدها من الأدب التاريخى أو من القصص المبنية على التاريخ ، أو نعدها من أدب الوصف . ولكنها لم تكتب لتكون أدبا ، ومن هنا أهملها مؤرخو الأدب . وتركوها للتاريخ ، وكانت موضع تحقيق .

ولكن ما السر فى عدم تعلق الأدب المحض بها ؟ وأنه لم تنسج حولها القصص الأدبية ؟ وما السبب فى عدم وقوف شعراء العرب عليها كما وقفوا باكين على الأطلال والدمن ؟ وما الذى صرفهم عن الاعتبار بها ، والاتعاظ بمن أنشئوها ثم تركوها ، وصاروا مثلا للآخرين ؟ .

وماعذر الطولونيين ومن بعدهم فى إهمال أدب الآثار القديمة ؟ لقد رأوا ما ظهر منها ، وكشفوا كثيراً مما بطن وكان عندهم المثال الذين يسيرون على طريقته ؟ وهو سينية البحترى فى إيوان كسرى ، وكانت قوية ومشهورة جداً ، لجودتها ولغرابتها موضوعاً وقافية . وكان عندهم من قبل البحترى أبيات كريب بن مجلد ، فى وصف صنم فى حمام زبان على شكل امرأة ، يبدو من وصفه أنه من آثار اليونان أو الرومان ، ومن هذه الأبيات[1] :

من كان فى نفسه للبيض منزلة ... فليأت أبيضَ فى حمام زبان
عَبْل لطيف هضيم الكشح معتدل ... على ترائبه فى الصدر ثديان
لا روح فيه ، ولا شفر يقلبه ... لكنه صنم فى خلق إنسان

والجواب على ذلك أن هذا الأدب العربى المحض كان أسير التقليد فلم يتجه إلى وصف الآثار القديمة مع كثرة ما رأى العرب منها فى مصر والعراق والشام

(١) فتوح مصر لابن عبد الحكم ص ١١٤ — ١٥٨ من هذا الكتاب .

والأندلس ، ولم يشغل الأدباء أنفسهم بوصفها أو الاتعاظ بها ، ولم يتركوا شيئاً من الأدب حولها إلا نادراً .

ثم إن وقوف العرب على الأطلال والدمن كان وقوفاً تثيره ذكريات الأحباب وماضي الشباب ، وبلى الأطلال ، وارتحال أهل الديار .

أما هنا فالآثار ألغاز وطلاسم لا يفهمون أسرارها ، ولا تثور عواطفهم عند رؤيتها ، ولا يتصل تاريخهم بها .

حقاً إنهم وقفوا على بعض الآثار التي شهدوا عزها وذلها ، ورأوا عظمتها وفعل الأيام بها . وظهر لنا من ذلك رثاء ابن شافع للدار المذهبة التي كانت لآل عبد العزيز ابن مروان[1] .

ومنه ما رأيناه من الشعر الذي قيل في أعقاب الطولونيين في الشماتة بهم ، واستقبال من أبادوهم ؛ أو في البكاء لما أصابهم ورثاء دورهم وقصورهم ، والأسى على أيامهم ، والاعتبار بمصيرهم ، وقد يصحب ذلك وصف مجمل أو مفصل لهذه الآثار ، أو لأيام المجد والعظمة ، فيثير البكاء ويدعو إلى الاعتبار .

ومنه رثاء عمارة اليمني لدولة الفاطميين ، وما كان من شعراء الأندلس في رثاء دولهم التي كانت تتهاوى واحدة بعد أخرى .

ولكن وقوفهم على تلك القصور والدور ؛ ورثاءهم لتلك الممالك والدول ، كان أشبه بالوقوف على الأطلال والدمن ، أثارته مشاهدة تقلبات الدهر ، ورؤية الآثار في حالي اليسر والعسر ، فكان ما أصابها على مرأى ومسمع منهم داعياً إلى بكائها ، والاعتبار بها . أما الآثار القديمة فيثير الحديث عنها إكبارها ، والإعجاب بفنها ، والدهشة لما تحويه من سحر وعبقرية وشبه ذلك .

وقد ظل الأدب العربي مقصراً في هذه الوقفات على الآثار الخالدة ، حتى جاء شوقي فوقف على آثار الفراعنة وآثار العرب يصفها ويرثيها ، ويتحدث عن عظمتها الماضية ، وعبرها الباقية ، فأبدع إبداعا عظيما .

(١) ص ١٦٠ من هذا الكتاب

الفهرس

المقدمة :

الفصل الأول : الفتح الإسلامى لمصر : ١ — ١٩

معرفة العرب بها ، مسير عمرو إليها (٤) عوامل انتشار اللغة العربية بها : الإسلام (٥) هجرة القبائل (٨) كثرة العرب بمصر (١٣) أثر الهجرات فى اللغة (١٦)

الفصل الثانى : الخطب والوصايا : ٢٠ — ٥٣

(ا) الخطابة : حاجة الفاتحين إليها (١٩) خطبة لعمرو (٢٠) فى الصلح بين عمرو والمقوقس (٢٤) خطب عتبة (٢٩) الخطابة بعده (٣٥) الخطابة العباسية (٤٠) من الطولونيين إلى الفاطميين (٤٣)

(ب) الوصايا : الفرق بينها وبين الخطابة (٤٦) وصية قيس بن سعد (٤٧) وصايا مروان بن الحكم (٤٨) وصايا ابن طولون (٥١)

الفصل الثالث : القصص : ٥٤ — ٧٥

متى ظهر فى الإسلام (٥٤) وفى مصر (٥٥) صورته (٥٦) أول قصة . عمرو والكرة (٥٨) عمل المؤرخ والأديب (٦٠) قصص أخرى (٦٣) كتاب المكافأة (٦٦)

الفصل الرابع : كتابة الرسائل : من عمرو إلى ابن طولون ٧٦ — ١٠٢

(ا) فى زمن الراشدين (٧٧) بين عمرو والخليفة . رسالة عمرو فى وصف مصر (٧٩) رسائل أخرى

(ب) فى عهد بنى أمية (٩٠) نقل الديوان إلى العربية (٩٢) .

(ح) فى عهد العباسيين : الليث بن سعد (٩٧) رسالة المعتصم (٩٩)

الفصل الخامس : الرسائل من ابن طولون إلى الفاطميين ١٠٣ — ١٢٧

ديوان الإنشاء (١٠٣) فضل ابن طولون على الكتابة (١٠٥) قصته مع ابن عمار ورأيه فى الكتاب (١٠٧) موقفه من الأدب (١١١) بينه وبين ابنه (١١٦) الكتابة فى مصر والعراق (١١٩) صفات الكتابة (١٢٠) ابن عبدكان (١١٩) ابن نصير (١٢٢) رسالة الإخشيد إلى أرمانوس (١٢٤) النجيرمى (١٢٦)

الفصل السادس : الشعر إلى آخر بنى أمية : ١٢٨ — ١٦١

(ا) إلى عبد العزيز بن مروان (١٢٨)

(ب) فى عهد عبد العزيز (١٣٥) شعراؤه (١٣٥ --- ١٥٢)

(ح) من عبد العزيز إلى العباسيين (١٥٥)

الفصل السابع : شعر العصر العباسى : — ١ ١٦٢ — ١٨٢

الشعر التاريخى ، صدى النزاع بين الأمين والمأمون (١٦٦) فى ثورة ابن الجروى والسرى بن الحكم (١٦٨)

الفصل الثامن : شعر العصر العباسى : — ٢ ١٨٣ — ٢٠٦

الشعر القضائى : القاضى المفضل (١٨٥) القاضى العمرى (١٨٧) قضية الحرس (١٨٩) قضية السباق (١٩٣) القاضى البكرى (١٩٥) الشعر فى الخلافات المذهبية (٢٠١) ابن القطاس (٢٠٣) ابن الليث والعمائم (٢٠٤) صورة الجماعة فى الشعر (٢٠٦)

الفصل التاسع : الشعراء فى عهد العباسيين : ٢٠٧ — ٢٢٩

(ا) شعراء مصر : ابن عفير (٢٠٧) المعلى الطائى (٢٠٨) رثاء جارية (٢١٠) فى محبة الأولاد (٢١١) الجمل وشعره (٢١٢)

(ب) الشعراء الزائرون ، من مدحوا يزيد اللهبي (٢١٤) أبو نواس (٢١٧) أبو تمام (٢٢٢) دعبل (٢٢٥) كلمة عن الشعر والشعراء (٢٢٨)

الفصل العاشر : شعر الطونيين : ٢٣٠ — ٢٥٧

١ — فى عهد دولتهم : مدح وهجاء وفخر ورثاء . شعر ابن جدار فى مغنية وفى ثقلاء (٢٣٩)

٢ — الشعر فى أعقاب الطولونيين : فى التشفى والشماتة (٢٤٣) عظمة ملكهم (٢٤٥) رثاء دولتهم والاعتبار بهم (٢٤٨) فى حرب المغرب (٢٥٦)

الفصل الحادى عشر : الشعر فى عهد الاخشيديين ٢٥٨

بعض الشعر (٢٥٩) رثاء الإخشيد (٢٦١) شعر فى وصف الأديرة وما يتصل بها (٢٦٤) دعوة إلى مجلس أنس (٢٦٨) شعر فى الربيع (٢٦٩) شعر قضائى هجائى (٢٧١) المتنبى فى مصر (٢٧٢) حرص كافور عليه ، مدحه وهجاؤه له (٢٧٣) خصائص المدح والهجاء (٢٧٦) حساده بمصر (٢٧٨) وصف مصر ، ووصف الحمى (٢٨٠) صلته بأبى شجاع (٢٨٢) .

الفصل الثانى عشر : المؤثرات فى هذا الأدب ٢٨٤ - ٢٩٥

البيئة (٢٨٤) الثقافة (٢٨٥) النقد (٢٨٦) التيار الأدبى العام (٢٨٧) التاريخ الحديث والقديم (٢٨٨) الآثار وصلتها بالأدب من عبد العزيز إلى الإخشيديين (٢٨٩)

صواب الخطأ

وقعت أخطاء لم يمكن تجنبها . وهذا صواب أهمها :

الصفحة	السطر	الصواب
١٤	٥	اثنى عشر
١٧	٥	استعانها
١٨	٥	وهؤلاء
٤٣	٦	٢٦٩
٤٣	١٧	أمر الإخشيديين
٦٠	١٢	تأثلته
٦٣	٢	عمرا والشماس
١٧٢	٧	ما زلت
١٧٧	١	وقال أبو تمام
٢١٤	٢١	يزيد بن أسيد
٢١٥	١٦	بعصيبه
٢٢٥	١٥	٤ — دعبل
٢٣٥	هامش	الوليد وكنيته أبو عبادة

obeikandl.com